

الكلُّ يحبُّ الحياة!

القديسُ يوحنا كرونشتادت والقُدَّاسُ الإلهيُّ



هذا الكاهنُ الروسيُّ القديسُ
الجديد، الذي رقدَ في العشرين من شهر
كانون الأوَّل سنة ١٩٠٨، تركَ لنا مثلاً منقطعَ
النظيرِ عن راعي كنيسةِ المسيح. وقد شدَّ
بحياته وتعليمه، بامتياز، على أهميَّة القُدَّاسِ
الإلهيِّ ومعناه. كان راعياً مفعماً بالغيرة
ونكرانِ الذاتِ والمحبةِ واهتمامه العطوفِ
على الناس.

الأبُ يوحنا منذُ السنة ١٨٥٥، حينَ

شُرطنَ كاهناً إلى حينِ موته سنة ١٩٠٨، على

مدى نصفِ قرنٍ، كان يُقيمُ القُدَّاسَ الإلهيَّ كلَّ يومٍ، ويعظُ بكلمةِ الله، ويُسدي
النصائحَ، ويعزِّي ويرشد، ويعيدُ نفوساً مُقيماً إياها من سقطاتها. لقد حقَّقَ عملاً رعايياً
 واجتماعياً رائعاً. وكانت علاماتُ رضى الله عنه واضحةً من خلالِ كثرةِ عجائبه. كان
يعملُ من دونِ توقُّفٍ ويرتاحُ قليلاً جداً.

لم يكنْ للتعبِ والمللِ تأثيرٌ عليه، ولم يمنعه البتَّة عن محافظته العميقة على
حالة الصلاة غيرِ المنقطعة.

كان الشعبُ يُحيطُ به بمحبةٍ لا توصفُ واحترامٍ بالغٍ، لأنَّه كان يرى في
شخصه مثالَ الربِّ يسوع، الراعي الصالح.

الشهادةُ التي أعطها بحياته ومثاله هي بعمله الحيِّ وتذكيره أنَّ القُدَّاسَ الإلهيَّ
هو أغنى نبعٍ للنعمةِ والحياةِ الحقيقيَّةِ للبشر.

يقولُ هو شخصياً ما يلي:

ماذا يوجدُ في الأرضِ أعظمُ من سرِّ وحدةِ الإنسانِ مع الله، الذي يتحقَّقُ بكسرِ جسدِ المسيحِ وإهراقِ دمه؟ عملُ الله الذي يتمُّ في القدَّاسِ الإلهيِّ يتخطَّى بعظمته كلَّ أعمالِ الله الأخرى التي صارتُ في العالمِ وحتى خلقَ العالمِ نفسه!

كلُّنا نحبُّ الحياةَ، ولكن لا توجدُ حياةٌ حقيقيةٌ من دونِ نبعِ الحياةِ يسوعَ المسيحِ. القدَّاسُ الإلهيُّ هو خزينةُ الحياةِ الحقيقيَّةِ ونبعُها. لأنَّه خلالَ القدَّاسِ، السيِّدُ نفسه، سيِّدُ الحياةِ، يُعطي نفسه للمؤمنين، كغذاءٍ وشرابٍ ويُعطي لأولئك الذين يتناولونَ حياةً وافرة، كما قالَ هو نفسه: "من يأكلُ جسدي ويشربُ دمي، يحصلُ على الحياةِ الأبديةِ". "جئتُ لتكونَ لهم حياةً، ولتكونَ لهم أفضل".

ولكنَّ الشيطانَ، سببَ الخطيئةِ والموتِ، يحاولُ بكلِّ أحيائه أن يُبعدَ المسيحيينَ عن كأسِ الحياةِ، مجرَّباً إياهم بضعفِ الإيمانِ والبرودةِ والإهمالِ، حيالَ هذا السرِّ العظيمِ، لكي يربطَ الناسَ برباطاتِ الموتِ والخطيئةِ. من الضرورةِ بمكانٍ أن نلهبَ في قلوبنا، وعلى الدوامِ، أكثرَ فأكثرَ، الإيمانَ بالمسيحِ والمحبةَ الفائقةَ حياله. وأن نفتكرَ باستمرارٍ بعجائبِ عنايته. ولنقرأ الإنجيلَ المقدَّسَ بشكلٍ متواترٍ دقيقٍ. ولنتأمَّلْ بعمقٍ بما قرأنا ولندخلُ إلى داخلِ نفوسنا فنرى فقرنا الروحيَّ وعمانا وعُرينا.

من الضروريُّ أن نقطعَ من نفوسنا كلَّ محبةٍ تتعلَّقُ بالملذاتِ الأرضيةِ، التي تُعيقُ المحبةَ السماويةَ بشكلٍ شنيعٍ جداً. "فلنطرحَ عنَّا كلَّ اهتمامِ دنيويِّ". هذه الأقوالُ الجديَّةُ التي تردُّ في التسبيحِ الشاروفيميِّ، تبقى لكثيرٍ من المسيحيينَ صوتاً صارخاً في البريةِ...

مغبوطةٌ أقوالُ القدِّيسِ يوحنا هذه، التي تتحدَّثُ دائماً في العمقِ داخلَ قلوبنا.

